الطابع الطبقي للحرب الأهلية اللبنانية

ويستغله . وهذه الجماعة التي عملت منذ ١٥ سنة لتفريغ السلطة من قوتها الامنية ، ليس من المعقول ، ان تقبل بسلطة فوقها » . (٨٢)

ان هذه الطريق التي يرسمها الجميل نيابة عن جبهة الكفور ، تعني ان سركيس مطالب بأن يجعل من عهده استمرارا لعهد فرنجية ، وان يعتبر المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية ومعهما الجماهير الشعبية ، في صف الاعداء الذي ينبغي تطهير لبنان منهم ، ولذلك يجب ان تستمر الحرب ، عقابا للفلسطينيين والذين يؤيدونهم من ابناء الشعب اللبنانيين ، اي ان المهمة المطروحة على بداية **عهد سركيس هي مواصلة الحرب على المقاومة الفلسطينية و«اليسار المخرب» ، أي انهم يريدون ان يمضوا ست سنوات اخرى وسلاحهم موضوع على جدول التعامل مع الجماهير الشعبية الكادحة على أمل ارهاق كاهلها من خلال تشديد قبضتهم الفاشية على عنقها وتقطيع انفاسها .**

هذه هي ابرز المآرب التي يتوخونها من وراء نفيهم لطابع الحرب الطبقي . ولكن على ماذا يدل سعيهم هذا ؟ والى ماذا يشير ؟

ان **اولى الدلائل** تستخلص من كون محتوى موقف الفاشيين ونظرتهم ، هو التضليل ، الامر الذي يؤكد افلاس القوى الرجعية الفاشية ، مما اضطرها لنسج الاكاذيب والافتراءات ، لكي تتهرب من تحمل تبعات جرائمها ومن حكم التاريخ عليها .

اما الدلالة الثانية التي يستخلصها الانسان من موقف القوى الفاشية ، فتتجلى في ان هذه القوى لم تتعلم كفاية ولم تستفد من احداث الحرب الاهلية الدامية . ان هؤلاء الفاشيين يظهرون غباء مطلق النظير حين يتوهمون انهم باقصائهم للحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية من ميدان الصراع السياسي والمواجهة العسكرية العلنية سوف يتخلصون من التناقضات التي تأخذ بخناقهم . انهم اغبياء اذ يفعلون ذلك لانهم بهذا الاسلوب يدفعون الشعبين اللبناني والفلسطيني للبحث عن نهج اكثر جدوى وقدرة على مواجهتهم وتحطيم رؤوسهم . **انهم حين يصرون على مواصلة المعركة الى نهايتها ، فكأنما يصرون على الانتحار ، ويسعون الى تقريب موعد نشوب الثورة التي ستطيح بهم وتحرر الشعب من نظامهم الرجعي العميل ، لان العنف الرجعي ، يدفع الجماهير للرد عليه بعنف ثوري .** ووقائع السنوات الماضية دليل ساطع على صحة هذه الحقيقة رغم النهج الاصلاحي الذي حكم موقف الحركة الوطنية وممارساتها . **قد تنجح القوى الفاشية في اخماد القتال مؤقتا ولكنها لن تخمد جذوة الحقد الطبقي التي ستبقى متقدة في اذهان الجماهير ووجدانها حتى تتفجر من جديد ووفق نهج جديد .**

لقد اتضح مما تقدم ان الحرب اللبنانية، هي حرب اهلية سببها الاساسي يكمن في تفاقم الصراعات الطبقية والوطنية بين الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية وجماهيرها اللبنانية والفلسطينية من جهة وبين القوى الفاشية اللبنانية ، من جهة ثانية لذا فان انكار هذه الحقيقة ، ادعاء تفنده الوقائع التي هي اشياء عنيدة . **يكفي لكي يقتنع الانسان بأن الحرب الفاشية على الارض اللبنانية هي حرب اهلية ان يتذكر مجزرة صيادي صيدا ، ويعلم بأن الذين تظاهروا يوم السادس والعشرين من شباط عام ١٩٧٥ ، اي قبل وضع قانون شركة «بروتيين» موضع التنفيذ بيوم واحد ، كانوا مواطنين لبنانيين ولم يكونوا فلسطينيين . كما ان معروف سعد لم يكن ، لا ياسر عرفات ولا جورج حبش ، فلماذا قوبلت مظاهرتهم السلمية بانزال الجيش والقمع بالنار والحديد ؟**

ولكن هل تعني هذه الحقائق الدامغة ، ان ليس للفلسطينيين ولمقاومتهم المسلحة دور في الحرب الاهلية ؟

ان الجواب على هذا السؤال بالنفي بوازي في خطأه الجواب الذي ينكر كون **الحرب اللبنانية ، حربا اهلية** . لذا فأننا سنقف ، فيما يلي من البحث ، أمام المقدمات الموضوعية والذاتية التي لعبت دورها في احتدام الازمة العامة للنظام الرأسمالي اللبناني ، وفي دفع هذه الازمة للتفاقم والتفجر وانتقال الصراع الطبقي والوطني الى حرب اهلية لبنانية . وستشمل وقفتنا هذه انعكاس وجود الشعب الفلسطيني ومقاومته على الازمة العامة للنظام الرأسمالي في لبنان ، ودورهما في الحرب الاهلية اللبنانية . وعلى وجه التحديد فأننا سنقف امام الطابع الخاص للبورجوازية اللبنانية وعلاقة هذا الطابع في تفاقم الازمة العامة للنظام ، اولا ، وسنسجل مظاهر تذمر الجماهير اللبنانية من اوضاعها السيئة ، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ، ومن تغاذل الحكومة وعدم تصديها للاعتداءات الاسرائيلية على الجنوب خصوصا ، ونضال هذه الجماهير الدائم والدائب من اجل الضغط على الطبقات الرجعية الحاكمة لكي تبدي اهتماما بما تشكو منه الجماهير الشعبية وتحدث تغييرات تخفف من وطأة الاعباء التي تعانيها الجماهير ، وستبتدأ مراجعتنا لاحصاء مظاهر التذمر ومختلف اساليب النضال من اواسط الستينات حتى اوائل عام ١٩٧٥ ، حين نشبت الحرب الاهلية ، ثانيا ، وسنولي دور المقاومة الفلسطينية في انضاج مقدمات الحرب بالاهلية اهتماما خاصا يتناسب مع حجمه وفعاليته ، ثالثا ، وسنتعرض لانعكاس الاوضاع العربية والدولية على الاوضاع اللبنانية ، تعرضا يهتم بعلاقة التسوية السياسية للقضية الفلسطينية في نشوب الحرب الاهلية اللبنانية ، رابعا .

أما دور الحركة الوطنية ، فسيكون موضوع الفصل القادم من هذه الدراسة .

هوامش

(٧٩) رسالة ياسر عرفات الى سركيس : راجع النهار المحرر السفير والعديد من صحف يوم ٩٧٦/٩/٢٤ .

(٨٠) جريدة السفير العدد ٩٠٥ في ٢ تشرين اول ١٩٧٦ .

(٨١) جريدة السفير البيروتية العدد ٩٣٨ في ٤ تشرين الثاني ١٩٧٣ .

(٨٢) جريدة النهار العدد ٤٩٧٠ في ٩٧٦/٩/٢٩ .

■■

هجرة المثقفين عن الحرب ①

بقلم: هادي دانيال

عامان ، والحرب تأبى الهجرة عن لبنان ، لف الاثرياء حقائبهم وهاجروا ، والمثقفون ايضا هربوا بمعاجمهم ، ولم يبق في لبنان الا الحرب والفقراء وبعض مثقفيهم ، والمقاتلين حتما . ما همنا بالذي هاجر ، فالحرب ليست حربه ، ويقينا ايضا ليست حرب جميع من لم يهاجر . لا شك ان للحرب اهدافا ، ووراءها تمكث امان ومقاصد ، كانت الحرب خطوة واسعة في المؤامرة ، انما القدم التي خطتها ما اجادت حساباتها ، فاحترقت بالجمر واللهب .

- ١ -

بيروت ، التي شهدت مقاهيها ، مجمل انواع النظريات السياسية والثقافية ، وراقبت اشياء غرفها السرية الاف الاحلام الثورية ، تنوء بحملها ، وتنفجر ، ويهرب السياسيون والحالمون ، ويبقى الفقراء مشدوهين تأكلهم النار وصراخهم الوحشي يبقر بطن السماء ويغلف البحر .

ثمة بعض المثقفين كانوا اوفياء ، صاحبوا بيروت في محنتها . منهم من كانت المحنة اكبر منه فانتحى زاوية ملجأ ، او متراس يرقب الانفجار ويحرفه التيار .

ومنهم من فتح عينيه وشنف اذنيه ، يقارن بين قراءاته عن الثورة وبين هذه الحرب القذرة ، فلم ايضا دهائجه ولحق بمن هاجروا .

وبيروت تضمد جراحها بجراحات جديدة ، وتصمد في وجه المؤامرة مسيجة بلحم ودم الفقراء . بيروت كانت مسقط رأس الاف القصائد العربية واللبنانية تضن عليها الاقلام الشاعرة بقصيدة مؤاسية . كانت تعج (بالغاليريات) الفنية ، والان وحدها الحرب ترسم فيها لوحات الدمار والموت . والفنانون هاجروا . ومن لم يهاجر بجسده قتلة طغى ازيزه الرصاص وضجيج القذائف وفحيح السياسيين على نتاجاتهم الفجة . لماذا كانت فجة ؟ كان الجرح غائرا بشكل مريع . المثقفون الذين كانوا يدردشون عن العنف الثوري ، اعتبروا الحرب عنفا لا ثوريا . صحيح لم تكن الحرب « عنفا ثوريا » . لم ؟ لان المثقفين اصلا لم يفكروا يوما بـ « كيف » يكون العنف ثوريا ؟.

- ٢ -

الذين تبجحوا كثيرا بالعنف ، ابتذلوا هذه الكلمة كثيرا . وكانوا يعلكونها ، لانهم كانوا يستبعدون امكانية العنف في بلد مخملي كلبنان ، ولذا دهلوا حين فوجئوا بالحزب تقتحم المقاهي برصاصها وقذائفها . المثقفون ما حددوا موقفهم من العنف الثوري ، لم يعرفوا ان هذا العنف ت لا محالة . قرأوا ان العنف الثوري يقوم به حزب يعيش الجماهير ويقودها ضد السلطة السائدة . وكانوا يدركون ان هذا الحزب « الثوري » لا وجود له . لذا كانوا يتنطعون هم للقيام بهذا الدور ، فيكرعون زجاجات الخمر ويخربون الوعي ، ويعلنون « الحرب » على الجماهير ، لانها متخلفة وتتمسك بتقاليد سلفية خرقاء . ويهجرونها الى المقاهي الراقية ، وتفغر الهوة بينهم وبينها وكثيرا ما تسمع كلمة « رعاع » يرمون بها الجماهير ، لانها لا تثور ، وهم واعون بحكم قراءاتهم « الواسعة » ان الجماهير كي تثور تحتاج الوعي لحقيقة واقعها: وتفتقر المحرض المباشر يقود جحافلها نحو الثورة . وهم « الواعون » ، وهم القادرون على التحريض . وهم ايضا الكافرون بقدرة الجماهير ، وطاقاتها الثورية ! لكن ثمة نقطة هامة كانت غائبة عن اذهانهم ، حين ارتاحوا لعدم قدرة الجماهير على الثورة ، التي تكفل لهم استمرار متاجرتهم « بالثورة » تلك ، « والعنف الثوري » ذاك . هذه النقطة هي ان العنف الا ن يأتي من « الثورة المضادة » . فجاءت الحرب ، وفر المثقفون بجلودهم ينتظرون هدأة الصراع بعد ان يجهز الفاشيون على الفقراء . بينما يكونوا قد فتشوا عن « قضية » اخرى ، يشرحونها على مناضد المقاهي التي اضحت تعج ببقاياهم ، وببعض « الارتيستات » اللواتي رفضن الهجرة ، وفاء للبلد الذي رعاهن ايضا .

- ٣ -

فئة من المثقفين « الوطنيين » ، لوعيها الذي لا تحسد عليه ، ظنت الحرب شهرا او شهرين على الاغلب ، تعتبر مادة خام جيدة توحي بكثير من الاعمال الابداعية الفنية والادبية والفكرية . فاحتملوا البقاء في شققهم ، واحيانا التجول الحذر بعرباتهم الانيقة ، ومراقبة المعارك من خلال الصحف وزجاج النوافذ المضاءة ، الا انهم حين ادركوا ان المسألة تأخذ مأخذ الجد ، وقد تطول ، وان القذائف لا تفرق بين مقاتل حقيقي و « سواح الثورات » حملوا حقائبهم وانطلقوا في البر والبحر على امل ان يكملوا مشاهدتهم و « معايشتهم » للحرب من دمشق او بغداد او القاهرة ، او ربما « باريس » التي اضحت اقرب من دمشق وبقية العواصم العربية !

- ٤ -

تلك الفئة « الوطنية » الثورجية » تظن ان الثورة لن تتجاوز جلودها ، وان هذه الحرب المفروضة هدفها الوحيد القضاء عليهم كتيار واعين ، فهم وعي الثورة وحزبها المرتقب . لذا سيفشلون خطط الاعداء ، ويهربون الثورة بجلودهم . من دوائر الخطر المحدقة بها وهكذا يكونوا قد انتصروا للطبقة العاملة ، وانقذوا رايتها من الاحتراق في نار الحرب القذرة .

وغدا سيعودون ، كما سيعود التقليديون . واجهزة القمع البرجوازية بأقنعة سافرة ، ولكن من المستبعد ان لبنان المقبل سيستقبلهم الا اذا تخلوا حتى عن هوسهم « الثورجي » . ومن المستبعد ان يعود لبنان منبرا اعلاميا كما كان . ولكنهم سيعودون ، والى المقاهي فقط !.

- ٥ -

الشعراء المهاجرون الان ينقذون الشعر من الاحتراق ، ويهيئون المفردات التي تليق بالحرب الاهلية ، ودماء الشهداء ، لان بقاءهم سيفرض عليهم مفردات جديدة قذرة ، كالقذائف والجثث المحروقة والخطف والحواجز والقتل والذبح والتشويه ، وما الى ذلك من مفردات « لا شعرية »!

الرسامون التشكيليون في مهاجرهم يجربون الاختبارات على الالوان التي تليق ايضا بفداحة الحدث وبعده الملحمي فالحرب ستفرض لوني الاحمر والاسود ولن تفسح مجالا للفنان لكي يهيىء جوا صافيا وحدانيا يساعد على التجلي وتصوير قذيفة رشيقة تغير شكل جثة طفل بابداع سريالي او دادائي مذهل .

المنظرون ايضا ، لن يروقهم متابعة نمو افكارهم في ظل الدمار وضجيج المتفجرات ودوي راجمات صواريخ دمشق ، لذا يراقبون الجذور الدمشقية . ليجدوا مخارجا منطقية تبرر مراهناتهم التي ردمتها الحرب منذ جولتها الاولى .

★ ★ ★

اذن فالحرب ليست حرب من هاجر بجسده . فلبنان في « القلب » ، يخفق اخضرا ، لا قدرة للفنانين والشعراء المرهفين ان يتصوروه احمرا يعيث به الرعاع فسادا ، فكيف يشاهدوه - حقيقة - وقد تلطخ بدماء فقراء الجنوب والجبل ومخيمات الزينكو ، وتبرقع بدمار الكرنتينا والفنادق وتل الزعتر والدامور والنبعة وضبية وجسر الباشا ... فهم معذورون « ويحق للشعراء ما لا يحق لغيرهم » ...

هذا عن الذين هاجروا عن الحرب بأجسادهم فماذا عن الذين هاجروا بأذهانهم وعقولهم وعبقرياتهم ؟ !

■■